منهج القرآن الكريم

في حوار أهل الكتاب

دكتورة

منيرة بنت محمد بن ناصر الدوسرى

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بكلية الآداب

جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فقد اهتم الإسلام اهتماما كبيراً بالحوار والجدل ، ويظهر ذلك جلياً من خلال حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام ، فكان الحوار بمنهج تحاور وتفاهم وسلام، وليس منهج عصبية وشقاق .

لذا أرشد المسلمين إلى الأخذ فيها بأسباب الإقناع والمناظرة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأن الهدف هو إقناع المحاور؛ لعله يهتدي إلى الصواب قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [سورة النحل :١٢٥]

هذا الحوار والجدل القرآني مع أصحاب الملل المختلفة يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الخطابية والجدلية .

وقد قمت بمحاولة متواضعة في دراسة منهج القرآن الكريم في حواره وجداله مع أهل الكتاب ، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة .

التمهيد : تعريف الجدال والحوار في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول : دعوة القرآن للحوار مع أهل الكتاب .

المبحث الثاني : القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب .

المبحث الثالث : صور الحوار مع أهل الكتاب في القرآن .

وختمت بحثي بخاتمة تعرضت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث بجانب بعض التوصيات، ثم ذيلته بقائمة للمصادر والمراجع .

هذا وأتوجه بالدعاء إلى العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، كما أسأله العون والتوفيق لخدمة كتابه وإعلاء كلمته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

تعريف الحوار والجدال في اللغة والاصطلاح

أولاً : تعريف الحوار :

أ ـــ في اللغة : أصل كلمة الحوار من الحَوْرُ ، وذكر علماء اللغة أن الحَوْرُ : الرجوع عن الشيء إلى الشيء ، يقال حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً رجع عنه وإليه .

والحور : الرجوع من صلاح إلى فساد أو من زيادة إلى نقصان ، لأنه رجوع من حال إلى حال . .

والحوار والمحاورة مصدر حاور يحاور .

والمحاورة : المجاوبة ، والتحاور : التجاوب ، تقول كلّمته فما أحار إليّ أني ما رد جواباً ، وما سمعت له حواراً ولا حويراً ، وحاورت فلاناً محاورة وحوارا إذا كلمك فأجبته .[١]

وفي اللسان : وهم يتحاورون أي : يتراجعون الكلام . والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة .[٢]

وقال الراغب في المفردات : "المحاورة والحوار المُرَادّةُ في الكلام ، ومنه التحاور ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾[سورةالمجادلة : ١] "[٣] .

وفي أساس البلاغة : " وحاورتـــه: راجعتـــه الكلام وهو حسن الحوار ."[٤]

ومن خلال هذه الأقوال يتبين أن المعنى اللغوي لكلمة الحوار يدور حول معنى المحاورة والمراجعة ورد الجواب ، والمراجعة تقتضي أطراف تتبادلها وتنطلق من اثنين فأكثر ، والمحاورة هي تداول الكلام بين طرفين أو أطراف .

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة (٢/١٢٠-١٢١) ؛ جمهرة اللغة لابن دريد (١/٤٠٦-٤٠٧) ؛ القاموس المحيط (١/٣٥٦) ؛ الصحاح (١/٦٧) .

(٢) ينظر لسان العرب (٤/٢١٨) .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٣٤ .

(٤) أساس البلاغة ، باب الحاء ص ٣٦٥ .

ب ــ في الاصطلاح :

التعريف الاصطلاحي للحوار قريب من معناه اللغوي السابق ، وقد عُرّف بأنه : "مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة " (١)

كما عُرّف بأنه : "مناقشة بين طرفين أو أطــراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفــاسد من القول والرأي " (٢)

ومما قيل في تعريف الحوار: "أنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر " (٣)

ونخلص من هذه التعريفات أن الحوار هو تبادل للآراء والأفكار والمعلومات بين طرفين أو أكثر بضوابط محددة .

ثانياً : تعريف الجدال :

أ ــ في اللغة : الجدل له معانٍ عديدة في اللغة وأصله كما جاء في مقاييس اللغة : "الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام. (٤)

وجاء في كتب اللغة أن الجدلَ – بسكون الدال – شدة الفتل ، وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكماً ، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل .

ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه .

ومن معاني الجدل : الإحكام والانتظام ، ولذا قيل للقصر المحكم "المجدل" ، وجدلاء ومجدولة : محكمة النسج .

---

(١) أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص٩ .

(٢) أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ، ص٣.

(٣) الحوار الإسلامي ، بسام داود عجك ، ص ٢٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٥٩/١) .

كما يعني الصرع يقال : جدله أي صرعه ، ورجل مجدل ومجدال أي يصرع غيره ، والجدالة الأرض .

أما كلمة الجدل – بفتح الدال – فتعني اللَّدَد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالا . ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام .[١]

ب ــ في الاصطلاح :

وردت عدة معاني اصطلاحية للجدل ، فعرفه الجرجاني بأنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة" ، وقال أيضاً : " الجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها ." [٢]

وسرد الجويني تعريفات متعددة للجدل واختار منها التعريف التالي : " الجدل : إظهار المتنازعين مقتضى نظرهما على التدافع والتنافي بالعبارة ، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة ." [٣]

وقيل في تعريفه " المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم "[٤]

وعلى هذا يبدو أن الجدل لا يكون إلا بين اثنين متنازعين فأكثر وهو ما نلاحظه في تعريف العكبري التالي : " الجدل هو : عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة ، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره . " [٥]

ويظهر مما سبق أنها تعريفات للجدل في أصله وعلى إطلاقه ، ويقصد بها شدة الخصومة ، وقصد الغلبة والإفحام .

وقد قسم العلماء الجدل إلى جدل محمود وجدل مذموم ، أما المحمود فهو الذي يقصد به تقرير الحق ، وأما المذموم فهو الذي يقصد به تقرير الباطل أو أريد به المماراة وطلب الرياء والسمعة .

---

(١) ينظر اللسان (٩٨/٣) ؛ مقاييس اللغة (٤٩٥/١) ؛ القاموس المحيط ص ٨٧٨ ، أساس البلاغة ص ١٩٥ ؛ مفردات القرآن ص ٨٧.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٠٢.

(٣) الكافية في الجدل ص ٢١ .

(٤) مناهج الجدل في القرآن الكريم لزاهر الألمعي ص ٢٤ .

(٥) الكليات لأبي البقاء العكبري ص ١٤٥.

ويفرق بعض العلماء بين الحوار والجدل حيث أن الجدل مظنة التعصب وفيه منازعة وخصومة وصراع بخلاف الحوار ففيه معنى التقارب والتجاوب والتواصل .

وقد وردت لفظة الجدل في القرآن وما تصرف منها في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً معظمها كان الجدل فيها مذموماً ، وهذا يعني أن أغلب الجدال يؤدي إلى المنازعة ، ولكن في بعض المواضع كان الجدل فيها محموداً ، مما يدل على أن الجدل ما هو مفيد ومستحسن لكن إذا تجرد من الهوى ، ولعل هذا يفسر استخدام البعض للفظة الجدل بأنها مرادفة للحوار ، فكلاهما يمكن استخدامه بشكل سلبي أو إيجابي على حسب القصد والهدف ، فلا فرق بين مصطلحي الحوار والجدال .

المبحث الأول

دعوة القرآن للحوار مع أهل الكتاب

حث القرآن الكريم في آيات عديدة على الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين ،واهتم أكثر بجانب الدعوة لأهل الكتاب لبيان الحق ،وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلف فيها ،فكان تعامله مع أهل الكتاب مبني على الحق والعدل ،لا على الظلم والتعدي .

فقال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران]

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية العظيمة أن يدعو أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى إلى كلمة ، وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، مع شهادة أن محمداً رسول الله ، سواء : يعني نستوي نحن وأنتم فيها ، علينا جميعاً أن نعبد الله وحده دون ما سواه سبحانه وتعالى ، وأن لا نشرك به شيئاً ، فالمعنى : أقبلوا إلى ما دعيتم إليه ، وهي الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق .

" .. الآية قررت وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية ،فأما وحدانية الألوهية فهي قوله : { أن لا نعبد إلا الله } وأكده بقوله : { ولا نشرك به شيئا } ،والإله هو المعبود الذي توله العقول في معرفته وتدعوه وتصمد إليه ،لاعتقادنا أن السلطة الغيبية له وحده ،وأما وحدانية الربوبية فهي قوله : { ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله } ،فالرب هو السيد المربي الذي يطاع فيما يأمر وينهى ."[1]

وهذه الآية الكريمة هي آية الدعوة إلى الإسلام ،وفيها إقامة الحجة عليهم ، ولهذا امتثلها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بها أهل الكتاب إلى الإسلام كما ثبت في كتبه إلى هرقل والمقوقس وغيرهما .

---

[1] تفسير المنار ٣٢٧/٣

وهذا نص كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام ونبذ الشرك كما جاء في البخاري [١] "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [٢] ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً .. آخره " [٣].

ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب ، فأمره تعالى بلين الجانب كما في قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [سورة النحل]

يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ادع يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ، وإلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه ، وهو الإسلام بالحكمة ، والموعظة الحسنة أي بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله .

قال الزمخشري : " (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ."[٤]

كما أمر موسى وهارون عليهما السلام بلين الجانب حين بعثهما إلى فرعون فقال : { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [سورةطه]

والمجادلة : الاحتجاج لتصويب رأي ، وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك ، ولما كان ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين قد يبعثه على الغلظة في المجادلة ؛ أمره الله في هذه الآية الكريمة بأن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة : من إيضاح الحق بالرفق واللين .

---

(١) في صحيحه ، كتاب بدء الوحي (٧/١) .

(٢) الأريسيين : معناها كما قال أبو عبيد : هم الخدم والخول ، يعني لصده إياهم عن الدين ، أي عليك مثل إثمهم . ينظر النهاية في غريب الحديث (٣٨/١) .

(٣) ينظر تفسير الشوكاني (٢٢٣/١) ؛ تفسير المنار (٢٧٠/٣)

(٤) الكشاف (٤٣٥/٢) .

والمعنى : إذا ألجأت الدعوة إلى محاجة المشركين فحاججهم بالتي هي أحسن .

قال السعدي : " فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعيةً إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا ، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها " [١]

ويظهر من خلال هذه الآية أن القرآن يشتمل على ثلاث طرق من أساليب الدعوة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دعا الناس يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة وذلك كله بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ، ومن أحوال المخاطبين ، وليس من اللزوم كون الكلام الواحد مشتملا على هذه الأحوال الثلاثة ، بل قد يكون الكلام حكمة مشتملا على غلظة ووعيد وخاليا عن المجادلة ، وقد يكون مجادلة غير موعظة . [٢]

قال الطاهر ابن عاشور : (وقيدت الموعظة بالحسنة ، ولم تقيد الحكمة بمثل ذلك ؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ ، وأرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة ، أي بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير .. وأما الحكمة فهي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه ، فلا تكون إلا في حالة حسنة ، فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة والمجادلة لما كانت محاجة في فعل أو رأي لقصد الإقناع بوجه الحق فيه ، فهي لا تعدو أن تكون من الحكمة أو من الموعظة ، ولكنها جعلت قسيما لهما هنا بالنظر إلى الغرض الداعي إليها . وإذ قد كانت مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم لهم من ذيول الدعوة وصفت بالتي هي أحسن ، كما وصفت الموعظة بالحسنة .)[٣]

---

(١) (٩٣/٣) .

(٢) ينظر تفسير الطبري (٣٢١/١٧) ؛ ابن كثير (٦١٣/٤) ؛ الشنقيطي (٤٦٥/٢) ؛ ابن عاشور (٣٣٠/١٥)

(٣) (٣٢٨/١٥)

ويقول تعالى : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت]

ذكر مجاهد أن هذه الآية محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه على حججه وآياته ؛ رجاء إجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة

فقوله (ولا تجادلوا) نهاهم عن مجادلة اليهود والنصارى ، وهم أهل الكتاب إذا كانت على غير بصيرة من المجادل ، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن أي إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه ، ورد الباطل وتهجينه ، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة ، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق[1] .

فلم يكتف القرآن في هذه الآية بحثّ المؤمنين على أن يكون جدالهم لأهل الكتاب بالتي هي أحسن، ولكنه زاد فحث الرسول على مودتهم واستمالة قلوبهم، والمجاهرة بأنهم يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى أنبيائهم، وأنهم وإياهم يعبدون إلهًا واحدًا لا خلاف عليه .

قال ابن عاشور : " ووجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب أن أهل الكتاب مؤمنون بالله غير مشركين به ، فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة ؛ ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة ، فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ ؛ حذرا من تنفيرهم ، بخلاف المشركين فقد ظهر من تصلبهم وصلفهم وجلافتهم ما أيأس من إقناعهم بالحجة النظرية ، وعين أن يعاملوا بالغلظة وأن يبالغ في تهجين دينهم وتفظيع طريقتهم ؛ لأن ذلك أقرب نجوعا لهم .

وهكذا ينبغي أن يكون الحال في ابتداء مجادلة أهل الكتاب ، وبقدر ما يسمح به رجاء الاهتداء من طريق اللين ، فإن هم قابلوا الحسنى بضدها انتقل الحكم إلى الاستثناء الذي في قوله : إلا الذين ظلموا منهم ."[2]

---

(١) ينظر الطبري(٢٠/٤٦) ؛ القرطبي (١٣/٣٢٢) ؛ تفسير السعدي (٤/٦٤) .

(٢) التحرير (٢٢/٥).

المبحث الثاني

القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب

إن القرآن الكريم أنزل لهداية الناس ودعوتهم إلى التوحيد الخالص ،فكانت الرسالة التي يدعو إليها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي رسالة التوحيد ،والمتأمل في القرآن الكريم يجد التركيز في مجادلة أهل الكتاب على القضايا العقدية الفاصلة ، فمعظم تلك القضايا يدور حول محورين هما : التوحيد والنبوة ، وما يتعلق بهما ، ومن أبرز تلك المواضيع هي :

أولاً : توحيد الله تعالى وعبادته .

فجاءت آيات عديدة بأسلوب رائع تدعو أهل الكتاب إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وتنهاهم عن اتخاذ المخلوقين أرباباً فقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران].

أي قل يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل تعالوا إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، والكلمة العدل ، هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به لا وثنا، ولا صنما ، ولا صليبا ولا طاغوتا ، ولا نارا ، ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل .[1]

وقال تعالى :{ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت] ومعنى (بالذي أنزل إلينا) القرآن ، وعبر عنه بهذه الصلة لينبه على خطأ أهل الكتاب لأنهم جحدوا أن يترل الله كتابا على غير أنبيائهم ولذا عقب بقوله (وأنزل إليكم) والمعنى : إننا نؤمن بكتابكم ، فلا ينبغي أن تنحرفوا عنا ، وهذا كقوله تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ

---

(١) ينظر الطبري (٦/٤٨٣) ؛ ابن كثير (٢/٥٦) .

أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ { [سورة العنكبوت : ٤٦] تذكير بأن المؤمنين واليهود يؤمنون بإله واحد فهذان أصلان يختلف فيهما كثير من أهل الأديان .[١]

وأبطل الله سبحانه قول النصارى بشهادة كلام من نسبوا إليه الإلهية إبطالاً تاماً في قوله تعالى : { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }[سورة المائدة]

فالمسيح الذي آمنوا به قد كذبهم في قولهم : إن الله هو المسيح ؛ لأنه قال : ربي وربكم وهو يناقض ما نسبوه إليه ؛ لأنه لا يكون إلا مربوباً وهذا مفاد قوله (ربي) ؛ ولأنه لا يكون مع الله إله آخر وهذا مفاد قوله (وربكم) . وفي الآية إثبات كفرهم وزيادة تنبيه على بطلان معتقدهم وتعريض بهم بأنهم قد أشركوا بالله من حيث أرادوا التوحيد .[٢]

وكما أنكر على النصارى الذين قالوا بالتثليث فقال : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سورة المائدة]

فحكم الله سبحانه عليهم بالكفر ثم رد عليهم هذه الدعوى الباطلة فقال : وما من إله إلا الله الواحد أي : ليس في الوجود إلا الله سبحانه ، وقوله (وما من إله إلا إله واحد) عطف على جملة (لقد كفر) لبيان الحق في الاعتقاد بعد ذكر الاعتقاد الباطل [٣].

وكذلك قوله { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [سورة النساء]

فنهاهم عن الغلو في عيسى عليه السلام ؛ لأن النصارى غلوا في تعظيمه حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فادعوا له بنوة الله ، وجعلوه ثالث الآلهة .

---

(١) ينظر التحرير (٦/٢٢)

(٢) المرجع السابق (٦/٢٨١)

(٣) ينظر الشوكاني (١/٣٨٦) ؛ التحرير (٦/٢٨٣) .

ثانياً : الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالكتاب الذي أنزل إليه .

أمرهم سبحانه وتعالى بالإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم فقال : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة المائدة]

وقال أيضاً : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ }[سورة المائدة]

كما أمرهم بالإيمان بالكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [سورة النساء]

فأمر أهل الكتاب ـــ والمراد بهم هنا اليهود ـــ بالإيمان بما نزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم مصدقاً لما معهم من أصول الدين وأركانه التي لا تختلف فيها رسالات الرسل .

وقوله تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [سورة آل عمران] وقوله تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [سورة آل عمران]

والمعنى من يبتغ غير الإسلام بعد مجيء الإسلام فهو خاسر للنعيم المقيم وهذا فيه تأييس لأهل الكتاب من النجاة من الآخرة .

كما توعد الله عز وجل الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى ، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض فقال : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }[سورة النساء]

ثالثاً : بيان تحريفهم لكتبهم وبطلانها .

وردت آيات عديدة تبين أن الكتب السابقة وقع فيها التحريف والتبديل منها قوله تعالى : { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[سورة البقرة] والحجة التي وصلها بإنكار الطمع بإيمانهم هي تعمدهم تحريف كلام الله.

قال ابن عاشور : " إنما نهينا عن الطمع في إيمانهم لا عن دعائهم للإيمان لأننا ندعوهم للإيمان وإن كنا آيسين منه لإقامة الحجة عليهم في الدنيا عند إجراء أحكام الكفر عليهم وفي الآخرة أيضا ولأن الدعوة إلى الحق قد تصادف نفسا نيرة فتنفعها فإن استبعاد إيمانهم حكم على غالبهم وجمهرتهم أما الدعوة فإنها تقع على كل فرد منهم ."[1]

وقوله تعالى : { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ } [سورة النساء :٤٦]

وتوعد الله عز وجل أحبار اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم بخلاف ما أنزل ثم يأكلون ثمنه فقال : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ }[سورة البقرة]

وقال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } [سورة آل عمران]

فبين تعالى أنه قد أخذ الميثاق على اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليبينن للناس ما في كتبهم من صدق نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام ، وهذا الميثاق أخذ على سلفهم من عهد رسولهم وأنبيائهم إلى أن يجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتركوا أمر الله ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك ، فكتموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوا به .

---

[1] التحرير (٥٧٦/١)

رابعاً : الرد على شبهاتهم وافتراءاتهم الباطلة ، وبيان فساد آرائهم وتناقض أقوالهم .

وجاء في مواضع كثيرة في القرآن منها :

ـــ إنكاره تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم فقال : { أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران]

ـــ ورده على مزاعم كل فرقة في أنها أحق بدين الله وأنه لن يدخل الجنة سواهم ، فرد الله تعالى ذلك عليهم، وبين أن اتباع ملة إبراهيم وهو دين الحنيفية المسلمة هو الدين الحق الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فقال : { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[سورة البقرة]

وقال : { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [سورة البقرة]

ـــ وإخباره تعالى عن جرأة اليهود على ربهم ووصفهم إياه بما ليس من صفته من زعمهم أنه فقير وهم أغنياء وأن يده مغلوله ـــ تعالى عما يقولون ـــ وتوبيخه لهم وذمهم .

فقال تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا } [سورة المائدة : ٦٤]

وقال تعالى : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [سورة آل عمران]

ـــ ورده على دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم أولياءه فقال سبحانه : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [سورة المائدة].

وقال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [سورة الجمعة]

ـــ مناقشة افتراءات ومبررات كانت حجة لهم من عدم إيمانهم بالقرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم ، منها زعمهم أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار .كما قال تعالى : { الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة آل عمران .] وتعجيز النبي صلى الله عليه وسلم بسؤالهم له أن يترل كتاباً من السماء ليؤمنوا كما قال تعالى : ﭽ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا } [سورة النساء]

وتشكيكهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب تحويل القبلة من بيت المقدس وهي قبلتهم إلى المسجد الحرام كما قال تعالى : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [سورة البقرة]

وزعمهم أن القرآن يحلل من الأطعمة ما حرم على بني إسرائيل في التوراة فأنزل الله قوله { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة آل عمران].

إلى غير ذلك من المواضيع التي حاور فيها القرآن أهل الكتاب وكلها تنطلق من الأهداف السامية التي شرعها الله لمحاورة أهل الكتاب .

المبحث الثالث

صور الحوار مع أهل الكتاب في القرآن

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه خاطب الناس بالدلائل العقلية البرهانية والجدلية ، ليلبي حاجاتهم العقلية وقدراتهم .

وقد استخدم أحكم المناهج والطرق ، وأفضل الأساليب في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم من المشركين ومنها [١] :

ـــ الحوار بالاستفهام الإنكاري :

وقد ورد هذا كثيراً في القرآن الكريم في سياق حواره مع أهل الكتاب وإنكاره أفعالهم عن طريق الاستفهام، فلا يجدون جواباً لما تحويه هذه الأفعال من فساد وتناقض .

فالقرآن يحاول أن يصحح عقائدهم ، ويصحح أخطائهم على صورة التساؤل ، ومن ذلك قوله تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [سورة آل عمران]

قال ابن عاشور : " والاستفهام إنكاري . والآيات : المعجزات ، ولذلك قال (وأنتم تشهدون) . وإعادة ندائهم بقوله (يا أهل الكتاب) ثانية لقصد التوبيخ وتسجيل باطلهم عليهم . ولبس الحق بالباطل تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة ، حتى ارتفعت الثقة بجميعه . وكتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد – صلى الله عليه وسلم – ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوضوها بأعمال أحبارهم وآثار تأويلاتهم ، وهم يعلمونها ولا يعملون بها ."[٢]

وثم يأخذهم إلى الحق من منطق التساؤل فيقول لهم : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ

---

(١) استفدت في هذا المبحث من كتابي الحوار مع أهل الكتاب للقاسم ، وكتاب مناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي

(٢) التحرير(٣/٢٨١)

سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [سورة آل عمران]

يقول الرازي : " إن هذه الآية تتضمن منهاجاً يشد كل عقل سليم وطبع مستقيم إنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال ." (١)

ـ ضرب الأمثلة :

وهو القياس ، ومن الأقيسة التي استخدمها القرآن في محاجة أهل الكتاب :

قياس الأولى : واستخدمه القرآن بشكل واسع ، وله أمثلة كثيرة في كتاب الله عز وجل منها قوله تعالى : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [سورة آل عمران].

فإذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى بآدم المخلوق من غير أب ولا أم أن يكون هو الآخر إلهاً ، لكن لما لم يكن آدم إلهاً باعترافكم فمن باب أولى أن لا يكون عيسى إلهاً .(٢)

وقياس الشبه : واستخدمه القرآن في بيان مشابهة أهل الكتاب للمشركين مع علمهم بفساد عقيدتهم ، كما قال تعالى في مشابهتهم للمشركين في نسبة الولد لله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [سورة التوبة : ٣٠].

فهم قد بالغوا في التشبيه والتجسيد فلم يستبعدوا أن يكون لله ولد ، ويرد عليهم هذا الزعم فيقول تعالى : { ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [سورة التوبة]، لأنهم بقولهم هذا كاذبون ويشبهون الكفرة تماماً .

ـ الحوار بذكر قصص السابقين :

واستخدمه القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب وغيرهم للتأثير عليهم وإقناعهم وإقامة الحجة عليهم .

---

(١) مفاتيح الغيب (٢/٧٠٤) .

(٢) ينظر مناهج الجدل ص ٧٧ .

" قد يساق الدليل في قصة ويأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها فتصغي إليه الآذان ، وتميل إليه النفوس وترتاح إليه الأفئدة ، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر ، وقد اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير." (١)

ومعظم القصص التي وردت في القرآن قصص الأنبياء لهذا كان لها دور بالغ في محاورة أهل الكتاب كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة النمل]

ومن أمثلة القصص التي وردت ضمن محاورة أهل الكتاب قصة إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة بعد ذكر بني إسرائيل وقوله تعالى { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ذكر بعدها قصة إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى : { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } [سورة البقرة :١٢٤] إلى قوله { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سورة البقرة]

وذكر الفخر الرازي الحكمة من ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ضمن الحوار مع أهل الكتاب وفائدة ذلك بقوله : " والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل ، فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام اموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه .." (٢)

ـــ الحوار بالوعظ والتذكير :

نجد أن القرآن الكريم يعظ ويذكر أهل الكتاب ليردهم إلى الحق وحتى يقيم عليهم الحجة ، فتارة يذكّرهم بنعم الله الكثيرة وسردها عليهم ، وتذكيرهم بأن الواجب أن تقابل بالشكر

---

(١) مناهج الجدل ص ٧٣ .

(٢) تفسير الرازي (٤/٧٤) .

والإيمان لا بالجحود والكفر ، ومن ذلك قوله تعالى : " { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ }[سورة البقرة] .

كما يذكرهم بعاقبة من عصى وكفر بضرب أمثلة من أسلافهم وكيف كانت عاقبتهم ؟ ومن ذلك قوله تعالى : { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }[سورة البقرة].

ويذكرهم بيوم القيامة وما ينتظر العصاة من عذاب الله جزاء كفرهم وعصيانهم كقوله { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }[سورة آل عمران].

ـــ الحوار بالتحدي والمباهلة :

استخدم القرآن أسلوب التحدي والمباهلة لإظهار الحق وإبطال الباطل ، كما بينها الله في كتابه في سياق حوار أهل الكتاب في عيسى عليه السلام وأمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } [سورة آل عمران]

وهذه دعوة إنصاف لا يدعو لها إلا واثق بأنه على الحق . وهذه المباهلة لم تقع لأن نصارى نجران لم يستجيبوا إليها .[1]

ـــ الحوار بالاستدلال باستحالة ما يدعونه عقلاً :

استخدم القرآن في حواره مع أهل الكتاب الدليل العقلي وناقشهم في دعواهم مناقشة عقلية ، ومن ذلك نسبتهم الولد لله عز وجل كما قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[سورة البقرة] ، فبين الله امتناع ذلك عقلاً ، وأنه يلزم منه أمراً لم يقع فيعلم بطلانه كما قال تعالى :{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }[سورة المؤمنون] .

---

(١) ينظر التحرير (٣/٢٦٦) .

وأضاف أن المسيح رسول كغيره من الرسل بقوله { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }[سورة المائدة]. فهو يأكل الطعام وهو كناية عن الضعف والعبودية ، إضافة إلى أن المسيح عاجز عن الضر والنفع ، ولا يملك من ذلك شيئاً وكله بيد الله كما قال سبحانه { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[سورة المائدة]

ـــ الحوار بإثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان :

رد الله عز وجل كثيراً من دعاوى أهل الكتاب لأنهم لا يملكون الحجة والبرهان ، فطالبهم ببرهان دعواهم ولم يستطيعوا إثباتها فسقطت دعواهم الباطلة والتي منها قوله على لسانهم : { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[سورة البقرة]. فأمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يطالبهم بتقديم برهانهم على ما يدعون إن كانوا صادقين في دعواهم .

ومن دعواهم قوله : { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً } [البقرة :٨٠]، حيث كانوا يعتقدون أنهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يوماً بعدد أيام عبادتهم العجل .[1] فكان الجواب على هذا الافتراء من الله حيث قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [سورة البقرة]، وبالطبع ليس لهم برهان على ادعاء دخول الجنة ، وليس معهم عهد من الله بعدم العذاب إلا أياماً ، ولذلك كان الرد عليهم إفحاماً لهم .

كما يسلم القرآن ظن اليهود بأنفسهم تمهيداً لأخذهم إلى الإيمان ، يقول تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[سورة الجمعة]، ذلك أن المودة مع الله وأنه وليهم وحدهم تقتضي حب الإسراع إليه ، والموت من أجل لقائه، فطالبهم القرآن أن يتمنوا الموت دليلاً على صدق زعمهم ، ولكن واقعهم يخالف ذلك فهم لا يحبون لقاء الله ، ويكرهون الموت ، يقول تعالى : { وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [سورة الجمعة].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٧١) .

ومن ذلك أيضاً قوله : { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا }[سورة النساء] .

ـــ الاستدلال بنصوص كتبهم :

وبما يسلمون به من حقائق ذكرت في كتبهم ، وقد احتج القرآن الكريم على أهل الكتاب بذلك فرغبهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم [1] كما قال تعالى مادحاً من آمن منهم :{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [سورة الأعراف]

وقد استفاد علماء الأمة من هذه الطريقة وسلكوها في محاورة أهل الكتاب .

والقرآن مليء بأمثلة أخرى تبين طريقته وأسلوب حواره مع أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم .

---

(١) ينظر الحوار مع أهل الكتاب للقاسم ص٢٠٢ .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد ..

فقد انتهيت بفضل الله وعونه من بحث (منهج القرآن الكريم في حوار أهل الكتاب) ، وقد قسمته إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث وخاتمة .

بينت في المقدمة أهمية الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب ، وعرفّت في التمهيد الحوار والجدل في اللغة والاصطلاح مبرزة أقوال العلماء فيها ، وتحدثت في المبحث الأول عن دعوة القرآن للحوار مع أهل الكتاب ، والثاني عن أهم القضايا التي حاور فيها القرآن أهل الكتاب ، وفي الثالث ذكرت فيه صور من محاورة القرآن لأهل الكتاب ، وختمت البحث بذكر أهم المصادر والمراجع التي رجعت إليها .

وقد توصلت إلى النتائج التالية :

١ــ أن الجدل المحمود ورد في القرآن الكريم عند الأمر بالدعوة إلى الله عز وجل ومجادلة أهل الكتاب

٢ــ فرق بعض العلماء بين الجدل والحوار ، وكلا من اللفظين يمكن استخدامه بشكل سلبي أو إيجابي على حسب القصد والهدف ، فلا فرق بين مصطلحي الحوار والجدال .

٣ــ اهتمام القرآن الكريم بالحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلف فيها .

٤ــ تركيز القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب على القضايا العقدية الفاصلة ، فمعظم تلك القضايا يدور حول محورين هما : التوحيد والنبوة ، وما يتعلق بهما .

٥ــ استخدم القرآن الكريم أحكم وأفضل المناهج والطرق العقلية ، وأفضل الأساليب في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم من المشركين .

٦ــ احتوى التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة على نماذج من العلماء المسلمين الذين قاموا بحوارات رائعة مع أهل الكتاب ، والتي يجب إبرازها والاستفادة منها .

أما التوصيات فأهمها ما يأتي :

٧ــ على العلماء والدعاة الإهتمام بجانب الدعوة لأهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة لما لها من الأثر بدخول العديد منهم إلى الإسلام .

٨ــ إعداد وتنظيم دورات علمية وندوات في موضوع الحوار وآدابه ؛ لإعداد متخصصين ومؤهلين للحوار مع أهل الكتاب تتوافر فيهم الشروط اللازمة لذلك .

٩ــ الاستفادة من كتب المناظرة والجدل التي وضعها علماء الإسلام ، وتطبيقها وتوظيفها تربوياً .

١٠ــ ضرورة أن تكون الجامعات العربية لها الدور الأكبر في توجيه مراكز البحوث والدراسات العليا للاهتمام بموضوع الحوار مع أهل الكتاب من خلال البحث والدراسة .

١١ــ أن يخصص في الدراسة الجامعية مادة يدرس فيها الحوار نظرياً وتطبيقياً ، والاستفادة ممن لهم الخبرة في هذا المجال .

١٢ــ عمل دراسة تطبيقية لمعرفة مدى الالتزام بآداب الحوار في المدرسة ، على أن يكون آداب الحوار موضوعاً من موضوعات المنهج المدرسي.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما جهلنا ، وأن يرزقنا العمل بما علمنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .

فهرس المصادر والمراجع

ـــ أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : محمود محمد شاكر مطبعة المدني – القاهرة – ١٩٩١ .

ـــ أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ١٤٠٨ هـ .

ـــ أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ، طبعة دار المنارة، جدة .

ـــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ـــ لبنان ، ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م .

ـــ التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

ـــ تفسير التحرير والتنوير ، للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر .

ـــ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، للإمام محمد رشيد رضا ، دار الفكر ، الطبعة الثانية .

ـــ تفسير القرآن العظيم ، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، دار طيبة ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م

ـــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي دار المدني ، جدة ، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨ م .

ـــ جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

ـــ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م .

ـــ جمهرة اللغة ، لابن دريد ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م .

ـــ الحوار الإسلامي ، بسام داود عجك ، الحوار الإسلامي المسيحي، طبعة دار قتيبة ، ١٤١٨هـ

ـــ الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة ، خالد عبدالله القاسم ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

ـــ الصحاح ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م .

ـــ صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

ـــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٤م .

ـــ القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت لبنان .

ـــ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ٢٠٠٣م .

ـــ الكشاف عن حقوق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .

ـــ الكليات ، لأبي البقاء العكبري ، طبعة بولاق .

ـــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م .

ـــ معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان .

ـــ معجم مقاييس اللغة ـــ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الجيل ، ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م .

ـــ مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير .للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

ـــ مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر بن عواض الألمعي ، دار الفرزدق التجارية ، الرياض، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .

ـــ النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير) المكتبة العلمية ، بيروت ـــ لبنان . ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م .